



Muneer shafiq
2/24/2002

"Alhayat"

(العنوان: ستون مثقفاً أميركياً يوجهون بياناً إلى المسلمين !)

(الكتاب: منير شافيق)

(ت.م: ٢٤-٠٢-٢٠٠٢)

(ت.هـ: ١٢-١٢-١٤٢٢)

(جهة المصدر:)

(العدد: ١٤٢٢٠)

(الصفحة: ١٨ - ملحق تيارات)

صدر بيان عن ستين مثقفاً أميركياً وجه الي اخواننا واخواتنا في المجتمعات الاسلامية . وكان من بين أبرز الموقعين عليه فرانسيس فوكوياما وصامويل هنتنغتون وجيرار برانلي وصامويل فريدمان. ويلحظ من هذه الاسماء اننا نزاء تنظير لمتقنين (على الأقل أغلبهم) رسميين أو شبه رسميين، وبعضهم قد يكون ملكاً أكثر من الملك عند الدفاع عن السياسة الاميركية الخارجية أو تسويقها (نشرت السفير النص الكامل في ١٦/٢/٢٠٠٢). فالبيان يستحق الرد التفصيلي لأنه يمثل أهم تنظير تستطيع الادارة الاميركية ان تتقدم به تسويقاً لاستراتيجيتها العسكرية والسياسية الراهنة.

منذ الجملة الأولى تتكشف هشاشة الدفاع عن الحروب التي تشنها اميركا الآن على العالم: ثمة أوقات يصبح فيها من الضروري على الأمة ان تدافع عن نفسها بحد السلاح . وهي عبارة قد تصح على أغلب أمم العالم، بمعنى استثنائية الحرب في حياتها. ولكنها لا تنطبق على الولايات المتحدة لأن سجلها في عدد الحروب التي خاضتها منذ الاستقلال الي اليوم (حوالي ٢٢٥ عاماً) تصل الي ٢٢٢ حرباً وتدخلاً عسكرياً في بلد آخر. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم هناك ٧٥ حرباً وتدخلاً عسكرياً أو دعماً لانقلاب عسكري، وكلها لا علاقة لها بالدفاع عن النفس وإنما للتوسع والسيطرة.

ثم يحدد البيان خمسة مبادئ أو حقائق اساسية يريد القول انها أهداف الحرب الاميركية الراهنة، كما كل حرب اميركية سابقة، الي جانب ادعاء النود عن أنفسنا . فما هي هذه المبادئ - الأهداف؟
المبدئان الأول والثاني هما: ان البشر يولدون متساوين في الكرامة والحقوق و الشخصية الانسانية، هي العنصر الاساسي في المجتمع، وتكمن شرعية الحكم في حماية هذه الشخصية... .

نوعاً جديلاً ان هذين المبدئين معمول بهما في الولايات المتحدة لوجدناهما غريبين عن السياسة الاميركية، ماضياً وحاضراً، في تعاملها مع الشعوب الأخرى. وهو ما تشهد عليه غالبية نول اميركا اللاتينية وآسيا و أفريقيا. ويكفي استعراض الحكومات العسكرية التي دعمتها في الدوس عليهما حتى المسحق (بينوشيه في التشيلي نموذجاً). ولكن ما القول في الداخل الاميركي نفسه عندما تفتح سجلات إبادة الهنود الحمر، والعبودية ومعاملة العبيد، ثم التمييز العنصري ضد السود، وما حل بنصف المكسيك الذي اصبح غربي الولايات المتحدة.

وإذا كان الستون مثقفاً يؤمنون، هم على الأقل، بهذه المبادئ، فلماذا لم يشيروا الي انتهاك هذين المبدئين في الملاحظات والتحقيقات التي تعرض لها آلاف العرب والمسلمين من اميركيين ومقيمين وطلبة، ناهيك عن الفظائع التي عومل بها معتقلو غوانتانامو. وبكلمة، لم تعامل اميركا الرسمية ومثقفوها هذين المبدئين باعتبارهما حقيقة اساسية تتصل بكل الناس من غير تفرقة .

ولا يختلف الأمر في الحديث عن مبدأ رغبة البشر، بطبيعتهم، في البحث عن غاية الحياة ، ومبدأ حرية الضمير والحرية الدينية ، حين تسأل عن الترجمة الاميركية لهذين المبدئين في التطبيق والممارسة. ويكفي ان نتذكر هنا ان حرية الضمير ، بصورة خاصة، دبست تحت الأقدام طوال مرحلة الحرب الباردة. فالحملة الماكارثية داخلياً كانت موجهة ضد حرية الضمير ~~والحرية الدينية~~ من اساتذة ~~الجامعات~~ والمفكرين. فما من اتهام

الشهادات الكاذبة، أو التي تحت الضغط. أما من عاش تجربة الخمسينات والستينات، وخبر حملة مكافحة الشيوعية في البلدان التي سمحت بإرسال خبراء من الـ سي. آي. اي لتسلم التحقيق فيها مع الشيوعيين واليساريين والمعارضين عموماً، فسجد كل المبادئ التي يستند اليها المثقفين لا علاقة لها بأمريكا الامبريالية بامتياز. فقد كانت تعطل كل القوانين، وتحرم الضحية من كل الحقوق وتسقط عنه امتيازاته. بل كان الأذى يمتد الي ذويه حينما أمكن.

ويبدو اليوم انه بعد ١١ ايلول (سبتمبر) ٢٠٠١ أن أوان مساس اميركا بمبدأ الحرية الدينية، وإلا ماذا تعني الحملة المتطرفة بكيفية فهم الدين الاسلامي والاشراف على المدارس الدينية ومناهجها، والتحكم بعمل الجمعيات الخيرية، ان لم يكن دوساً علي مبدأ الحرية الدينية . وهل تجرؤ حكومة الولايات المتحدة ان تتدخل في ما يوعظ به في الكنائس البروتستانتية، ودور العبادة اليهودية في اميركا، أو في مدارسها ومناهجها الدينية، كما تحاول ان تفعل في البلدان العربية والاسلامية؟ ثم كيف ينسجم الكلام علي الحرية الدينية وما يتعرض له العرب والمسلمون من معاملة تمييزية - عنصرية داخل الولايات المتحدة، لا سيما الطلبة وطلبي اللجوء والإقامة والمخالفين لقوانين الهجرة. والاختيار في هذا الصدد ما زالت طازجة ويومية وصارخة، ولم تكشف كل الأوراق بعد!! لهذا يتعرض المبدأ الوحيد الذي يمكن ان يقال ان اميركا احترمته قولاً وعملاً الي النقض الآن، ليتضم الي سائر المبادئ الاخرى. ويعد مصيره الي جانبها الحديث عن الحرية الدينية الذي أخذ يفقد معناه مع الضغوط التي راحت تمارس ضد المدارس الدينية والمناهج وخطب المساجد وفهم الاسلام، جنباً الي جنب مع ما يتعرض له دول عربية واسلامية عدة، من تدخل في شؤونها الداخلية والاعتداء علي جوانب اساسية من سيادتها. ثم أية حرية دينية حين يصبح المسلم بالولادة متسهماً من حيث أتى. وإذا كان موقع البيان لا يعرفون ذلك فليراقبوا ما يجري في المطارات والحدود وفي طلب التأشيرات أو الإقامة أو عند الاضتباء والجلب الي التحقيق. اما ان يعرفوا عن كل ذلك ويفأخروا بالمبادئ الأربعة المذكورة، ومن دون ان يحتجوا، ولو بإيماءة خجولة، فهذا كثير كثير. والمبدأ الخامس، وقد أصبح مبدأ منذ ١١ ايلول لأنه لم يسبق ان أدخل في عداد المبادئ التي اعتبروها من حقوق الانسان الطبيعية، اي القتل باسم الله هو مخالف للإيمان بالله ويعد خيانة عظمي لكونية الايمان الديني . ولهذا جاء صوغه مهتراً وأريد ان يستخدم لتأدية اغراض معينة. فنصه قابل لكل تأويل علي عكس المبادئ الآتية الذكر التي ووجهت بالنتكر الاميركي لها في التطبيق، وليس من حيث نصها ومنلولها. ولكن لو أخذنا المبدأ الأخير علي علاته لوجدناه ضعيفاً امام أسئلة حيدا لو فكر بها موقع البيان من مثل: هل القتل باسم الحرية أو الديمقراطية أو الحقائق الأربع السابقة مخالف لها أم لا، وهل لا يعد خيانة عظمي لكونية المبادئ المذكورة ؟ ثم هل احتلال فلسطين وتشريد أهلها وسرقة ممتلكاتهم واغتصاب بيوتهم وأراضيهم واقامة الدولة العبرية علي أشلائهم، وبالطبع مع قتل من قتل منهم، تحت اسم أرض الميعاد والوعد الإلهي والشعب المختار وكلها اعتبرت من قبل الله .

ومن ثم تنطبق عليها قاعدة القتل باسم الله وهو مخالف للإيمان بالله، ويعد خيانة عظمي لكونية الايمان الديني ؟ ام اتنا أمام قاعدة أو مبدأ فصل علي قياس شديد الخصوصية لتسوغ الحرب التي تشنها اميركا علي العرب والمسلمين والاسلام؟

ومن هنا لا يستطيع هؤلاء المثقفون ان يثبتوا من خلال الماضي، أو الحاضر ان علاقة اميركا بالشعوب الاخرى، وابتداء بأقرب جيرانها، شعوب اميركا الوسطي والجنوبية، كانت ليوم واحد أمينة للمبادئ الأربعة الأولى، الآتية الذكر، أو انها احترمت ولو واحدة منها فقط. فالعلاقة بهذه المبادئ كانت دائماً جزئية، وحصرية، وضيقة النطاق، فهي منتهكة في الخارج، ومزودجة المعيار في الداخل، ومزرة بالنفاق داخلاً وخارجاً.

اما المبدأ الخامس فينطبق حكمه علي من أباد الهنود الحمر باسم الله أو باعتبارهم دون البشر، وعلي من شن هروب الاستعمار باسم المدنية ، وعلي من يشن الآن حرباً عالمية باسم العدالة المطلقة أو الحرية اللاهائية . ولكن اذا كان المقصود تطبيق القاعدة الخامسة حصراً علي مجزرة ١١ ايلول، فطبي الساسة والمنظرين الاميركيين المعنيين ان يقولوا بالضبط ما هو الوصف المحدد لمن قاموا بها، وما هي؟ هل هي قتل باسم الله ، أم هي جريمة خالصة مقصودة لذاتها لا تشمل وصفاً آخر، ام هي عملية انتحارية بلا أهداف سياسية، أو اسباب انتقامية؟ أم هي نابعة من حقد علي الديمقراطية والحرية الاميركيتين، وذلك حتي تُفهم، بدقة، قاعدة القتل باسم الله ؟ وبكلمة، المشكل عند أغلب المثقفين الذين شددوا علي هذا المبدأ انهم لم يخرجوا بعد، ومعهم ادارة بوش من التخبط في تناول الظاهرة وتعمد الغموض والباطنية خصوصاً عند بحث اسبابها.